باب الاجتهاد والآراء

(البعث والحياة الأخرى)

تأييد القرآن بالعلم

كان الذين ألفوا كتب الكلام على طريق فلسفة اليونان النظرية يرون ان الدليل على البعث لا يكون الا سمعيا اذ لا يمكن عندهم أن يستدل عليه العقل بأدلة علمية ، ولم يفهم هؤلاء قوله تعالى « كما بدأكم تعودون » وقوله « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » وغيرها من الآيات وقد قرأنا في القطف الاخير تحت عنوان (يعيدكم مرة أخرى) مانصه :

« القى المستر كندي كتابا عن الفيلسوف نتشه الالماني قال فيه ان نتشه ذهب الى ماذهب اليه غوستاف لوبون وهين وفلاسفة اليونان من قبلهم ، وهو ان القوى الطبيعية تتوالى وتعود الى ما كانت عليه ، فالعالم الذي يتم عمله تحل عناصره ثم تعود تتركب وتتولد فيه مخلوقات مثل المخلوقات التي كانت فيه قبلا ولذلك لا يبعد ان يكون الانسان قد وجد على هذه البسيطة قبل الآن وانقرض منها ، وان النوع الموجود الآن سوف ينقرض ثم يعود مرة أخرى ، وعناصر الشخص الواحد تعود فتجمع بعد قرون كثيرة كما اجتمعت قبلا وتتكرر ذلك الى ماشاء الله » اه

أما قوله بوجود الانسان قبل هذا الدور فقد قال به بعض المسلمين في تفسير « اني جاعل في الارض خليفة » أي ناسا يخلفون من قبلهم ، واما كون النشأة الأخرى تأتي بعد اتمام دورها الطويل ثم تعود وتتكرر ذلك ابدا فيقول به بعض الصوفية

الحريق في الاستانة

(والادارة فيها)

مما أدهش شيء في مدة إقامتي بدار السلطنة الاكثرة الحريق وتقصير الحكومة

في تنظيم مصلحة المطافئ ، فلا تكاد تمضي ليلة لا يروّع الناس فيها بنعاب الصائحين « ياغين وار ، ياغين وار » أي يوجد حريق ، ويذكرون مكانه ليعلم من كان له فيه دار أو لاحد أقاربه فيبادر اليها لاخراج من فيها بما يقدرون على حمله من نفائسهم وكرائم أموالهم ، فانه قلما وقع الحريق في مكان وسلم بل تأكله النار وتأكل كثيراً مما يجاوره قبل أن يأتي الهادمون لهدم ماحوله فالطريقة المثلى هنالك لمقاومة الحريق هي هدم البيوت المجاورة للمكان الذي شبت فيه النار وقد صار لهم ضرب من المهارة في الهدم لطول المزاولة والاِدمان ، واما إطفاء النيران ، فما لهم فيه يدان ، وانما ترى عند حدوث الحريق زعنفة من الاحداث يمدون سراعا حاسرين عن سوقهم يحملون على أكتافهم أدوات ، فيغيرون ويخبدون ، ولا يسعفون ولا يخبدون ، ولا أدري كنه ما يعملون

يدعي أهل الاستانة أن العرب وغيرهم من العناصر العثمانية لا يقدرون على الادارة كما يقدرون عليه هم ومن يتعلم عندهم من أهل عنصرهم وأنهم هم القادرون على ذلك دون غيرهم من العثمانيين ويا ليت هذا كان صحيحاً ، اذاً لعمرت ديارنا لانهم هم الذين يديرون حكومتها ولم تخرب ديارهم بل تكون أرقى عمرانا ، ولكن ليس في المملكة عمران يمكن أن ينسب الى حسن إدارتهم ، وهم يقولون اليوم ان كل ماحل بالمملكة من الخراب أو التقصير في العمران فسببه شكل الحكومة السابق وهو الاستبداد وقد استبدلنا به شكلا آخر وهو مايعبر عنه بالدستور

آمنا بتغيير شكل الحكومة بأخذه من الفرد واعطائه لجماعة ، ولكننا ما غيرنا الاشخاص بتربية ولا تعليم ، ولذلك لم تظهر ثمرة تغيير الشكل بالعمل ولا في الضروريات التي لا تتوقف على تخريج نشء جديد في التربية الدستورية والتعليم الدستوري كاطفاء الحريق

احترق قصر (جراغان) في العام الماضي وهو اجمل قصور السلاطين وأبدعها شكلا ونقشاً وزخرفاً بلغت نفقاته على السلطان عبد العزيز ملايين من الليرات ، احترق بعد أن سعى احمد رضا بك ففاز بجعل مجلس الامة فيه ، وخصصت الحكومة عشرات الالوف من الليرات لاثاثه ورياشه وجعله صالحاً لاجتماع المبعوثين والاعيان فيه ، ومع هذا كله لم يستعدوا لاطفاء الحريق اذا وقع فيه فلما وقع التهمته النار كله ولم يهتد أحد من خدمه ولا من عسكر الاطفاء لاطفائها

كان العقلاء يظنون ان حريق هذا القصر (السراي) البديع الذي أحرق القلوب سيكون هو المربي الأكبر لحكومة العاصمة في هذا الأمر وسيحملها على

العناية بمصلحة الاطفاء عناية تقي جميع بيوت المدينة من تدمير الحريق وامتداده عند وقوعه لا معاهد الحكومة فقط ، وقد رأينا الحكومة عقب هذه الحادثة تشتري آلات الاطفاء الحديثة وادواتها وتجربها ، وحضرت تجربة منها في الرحبة الشمالية من الباب العالي بمشهد الوزراء وغيرهم ، بنوا هنالك بيتاً صغيراً من الخشب وأعدوا المطافئ وأوقدوا فيه النار وأمطروا عليه الماء فلم تغن التجربة بل أكلت النار البيت كله

ثم صرنا اينما جلنا في الباب العالي وغيره من معاهد الحكومة نرى مطافئ موضوعة لتستعمل في أي موضع وقع فيه الحريق قبل ان تمتد الى غيره ولكنهم لم يعلموا أحدا كيفية استعمالها فيما يظهر فان العام لم يكد يمر على حريق قصر چراغان حتى وقع الحريق في قلب الباب العالي حيث مجلس الشورى ونظارة الداخلية وظلت النار تأكل فيه أياما لم يبق من الباب العالي الا قليل من طرفيه وفي أحدهما مكان الصدر الأعظم وفي الآخر نظارة الخارجية ، فكانت العبرة في ظهور عجز الحكومة عن الاصلاح وضعفها في الادارة أقوى في هذا الحريق منها في الحريق الذي سبقه ، وكنا نظن ان انتفاء أسباب الحريق سيمنع وقوعه في معاهد الحكومة بعد هذه العبرة ، ولكننا قرأنا في الجرائد قبل صدور هذا الجزء ان الحريق قد وقع في نظارة المالية وأكلت النار بعض الغرف فيها ،

أول مايخطر في بال كل معتبر بهذه الحوادث ان هؤلاء الحكام لا يرجى منهم إحسان الادارة في شيء ماداموا عاجزين عن منع الحريق ان يدمر كل يوم في عاصمتهم ، لأن من عجز عن منع استمرار الخراب في داره كان عن تعمير الدور البعيدة أعجز

وأما أهل العبرة والبصيرة من علماء الاخلاق وطبائع العمران فان افكارهم تذهب الى ماهو أبعد من ذلك كاستبانة سبب العجز عن أمر سهل كهذا ، يقول بعض الناس ان الشعب التركي شعب حربي ليس له ملكة في الادارة والعمران وانما ملكته الموروثة هي الحرب فقط ، وقد يقال ان إطفاء الحريق قد صار في هذا العصر من فنون العسكرية فما بال القوم لا يتقنون هذا الفن منها !!

ومما تذهب اليه أفكار هؤلاء المستبصرين أن رجال حكومتنا ليسوا مستقلين أو مجتهدين فيما يأخذونه عن أوربة من نظام الادارة والقضاء وغير ذلك وانما هم مقلدون للأوربيين تقليداً ، وإنما يأتي الاصلاح من المستقل دون المقلد الذي يخطئ في الفهم أكثر مما يصيب ، ويخطىء في التطبيق أكثر مما يخطىء في الفهم ، وقد أشرنا الى هذا

المنى في مقدمة مقال (المسلمون والقبط) في هذا الجزء فليرجع اليه من أحب التوسع في هذه العبرة ، وهي الغرض الذي نرمي اليه في هذه النبذة ،

وجملة القول أننا لا نبشر أنفسنا بصلاح حال حكومتنا بالفعل الا بعد أن تتقن هذه المصلحة اليسيرة المضطرة هي اليها في عاصمتها وهي مصلحة المطافئ فتكون في الاستانة متقنة كما نراها في مصر وعسى ان يكون ذلك قريباً

(الفتنة في اليمن)

اشتدت الفتنة في اليمن وطال عليها العهد وقد أرسلت الدولة الى اليمن بالخميس العرمرم وجعلت عزت باشا رئيس اركان الحرب في نظارة الحربية هو القائد العام للجيش هنالك لانه قد سبق له الحرب في اليمن وكان الامام قد أسره ثم أنقذه فيضي باشا ، وقد اجتمع هذا القائد في جدة بأمير مكة المكرمة الشريف حسين بأمر من الاستانة واشتهر انه اتفق معه على طريقة التعاون على إخضاع اليمانيين للدولة وذلك بأن يزحف الامير بجيش من العرب وكذا العسكر المنظم الذي في الحجاز كما قيل على عسير لمحاربة الادريسي وإخضاعه ليتمكن القائد من توجيه جيشه الزاحف كله الى محاربة الامام يحيى عسى أن ينتهي أمر الفتنة في وقت قريب، وهذا هو الرأي بعد أن صارت الحرب ضربة لازب في نظر الدولة

كان قد أشيع أن بين الامير والادريسي عداء ، وان الامير سيحاربه بعد عودته من نجد في العام الماضي ، ويظن بعض الناس ان هذا هو السبب في استعانة الدولة بالشريف على الادريسي لانها ترى انه لا يدخر وسعا في التنكيل به متى قدر ، كما يظنون أن سبب إرسالها عزت باشا الى محاربة الامام هو انه اشد من غيره كراهة له . ويرد على هؤلاء الظانين ظن السوء بأن سبب اختيار عزت باشا هو معرفته بأرض اليمن واختباره البلاد بالفعل ، وسبب الاستعانة بالشريف هو ان يكفيها إرسال العسكر الكثير وانفاق المال الكثير وهي تعلم كما علم كل الناس الذين علموا ما كان منه في نجد أنه يفضل السلم على الحرب ، والحلم والعفو على الانتقام ، والخير للدولة إنما هو في حل هذه العقدة حلا مرضياً لا دخن فيه ، ولا تحذر عقباه ومغبته ، ونحن نرى ان هذا أمر ممكن لمن أراده بصدق وإخلاص كما أنه كان ممكناً بغير دماء تسفك ، ولا قناطير من المال تبذل ، ولكن هكذا كان ، والواقع ينسخ الامكان ، وتمنى كل مسلم لو تنتهي

هذه المسألة عاجلاً بسلام ، ويكفي الله المؤمنين القتال ، والرجاء في حكمة الأمير كبير ، والله أكبر ، وله الأمر من قبل ومن بعد

(اليهود في المملكة العثمانية)

خبرنا الآستانة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقي عظيم ، وان ناظر المالية إسرائيلي النسب ، وأنه جعل كاتب سره وكثيراً من موظفي نظارته من اليهود ، فعلمنا ان سيكون لليهود شأن أيّ شأن في هذه المملكة ، وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة ، ومطامعهم المالية في المكان يعظم نفوذهم فيه غير مجهولة ، وقد أشرنا الى ما يخشى من مغبة ذلك في اجزاء من السنة الماضية ، ثم جاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية في هذه الأيام مصدقة لما قلناه ، ومثبتة ما توقعناه ، فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطباً بينوا فيها خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية ، وخطباً انكروا فيها على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكري في الاستانة لشركة أجنبية بثمن دون ثمن المثل بمسمرة بعض اليهود ، وهم يرون انه يمكن بيع ذلك المكان بأضعاف ذلك الثمن ، وقد دافع الصدر الاعظم في المسألة الاولى عن الحكومة وعن اليهود ودافع جاويد بك عن نفسه في الثانية ونحن لا نتعرض للمحاكمة والترجيح بين المجلس والحكومة وحزبها وانما ننبه الناس للتأمل والاعتبار

(المؤتمران المصريان القبطي والاسلامي)

يرى القراء مقالة في هذا الجزء عنوانها (المسلمون والقبط) سيتلوها مقالات أخرى في موضوعها ، وقد كان من تأثير المؤتمر القبطي الذي اجتمع في أسيوط أن أيقظ مسلمي مصر من نومهم الاجتماعي ونبههم الى ما كانوا غافلين عنه وفتح لهم باباً لحفظ مصالحهم ودرء الضرر عنهم كان مغلقاً في وجوههم من قبل لأن القبط كانوا أوسع حرية منهم وأكثر انتفاعا بالحرية مطلقاً باجماعهم على تأييد الاحتلال وكونهم نصارى وقليلي العدد لايخشى المحتلون جانبهم ، ولذلك لم تمنعهم الحكومة من مؤتمرهم ولم يكن يخطر لها ولا لهم ببالان يقوم المسلمون بعقد مؤتمر آخر على أنه نتيجة طبيعية

لذلك المؤتمر فلما ارادوا ذلك لم يكن من الممكن ان تمنعهم الحكومة وقد اختاروا رياض باشا رئيساً له وهو الثقة الامين المعروف عند الوطنيين والافرنج بالاعتدال والاخلاص

من العقل والحكمة ان يغتنم القائمون بأمر هذا المؤتمر الفرصة لخدمة المسلمين فيما يعبر عنه في عرف هذا العصر بالشؤون الاقتصادية والادبية وان يكون كالمجلس الملي للقبط وان يبدأ عمله ببيان حال القبط في البلاد مع المسلمين باحصاء المستخدمين منهم في الحكومة وفي مصالح المسلمين ومزارعهم وسائر أعمالهم ويظهر للمصريين والاوربيين ان القبط رابحون على المسلمين وانهم اذا نالوا مايطلبون لا يبقى للمسلمين حظ في حكومة مصر وان ذلك يكون سيئ العاقبة ، ولا سيما بعد جهرهم بايذاء المسلمين. وبعد هذا البيان يدعون القبط الى الوفاق المعقول المبني على سنن الاجتماع فان رضوا فبها ونعمت والا اعرضوا عنهم وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير

ينبغي أن لا يشتغل هذا المؤتمر بالسياسة لا ظاهرا ولا باطنا، لا قولا ولا عملا، ينبغي ان تكون اللجان التي تنتخب المندوبين له دائمة ، وان يكون أهم أعمالها الدائمة احصاء ديون المسلمين وأطيانهم المرهونة ، وبيان تصرفاتهم المالية لينظر المؤتمر آنا بعد آن في طرق إنقاذهم من ضرر الربا وسوء التصرف والاسراف الذي يكاد يذهب بثروتهم ويجعلهم عالة على عدد قليل من الاغنياء واصحاب المصارف والشركات المالية ، وفي ذلك من الخطر على البلاد مافيه ، يجب ان يكون من عمله الدائم مساعدة الجمعيات الخيرية على عملها في التعليم واعانة المعوزين ، وتعميم النقابات الزراعية في البلاد ،

ان الاحزاب السياسية قد شغلت المسلمين عن الترقي الحقيقي بالعلم والتربية الملية والمال ، فاغتنمت القبط فرصة اشتغالهم بنطح صخرة الاحتلال ، وجدوا في التربية القبطية ، وتوفير الثروة القبطية ، الى أن طمعوا بما اجمعوه في مؤتمرهم هذا، فليشتغل هذا المؤتمر بهذين الأمرين ولا يعارضه أهل السياسة فان عمله ينفعهم ولا يضرهم